

تفسير البحر المحيط

@ 375 @ .

هذه السورة مكية . ومناسبتها لما قبلها : أن في آخر ما قبلها قوله : { كَلَّا - بَلْ لَّا - يَخَافُونَ - الْآخِرَةَ * كَلَّا - إِنَّ رَبَّهُ تَذَكُّرَةٌ } ، وفيها كثير من أحوال القيامة ، فذكر هنا يوم القيامة وجملاً من أحوالها . وتقدّم الكلام في { لَّا - أُقْسِمُ } . والخلاف في لا ، والخلاف في قراءتها في أواخر الواقعة . أقسم تعالى بيوم القيامة لعظمه وهو له . و { لَّا - أُقْسِمُ } ، قيل : لا نافية ، نفى أن يقسم بالنفس اللوامة وأقسم بيوم القيامة ، نص على هذا الحسن ؛ والجمهور : على أن أقسم بالأمرين . واللوامة ، قال الحسن : هي التي تلوم صاحبها في ترك الطاعة ونحوها ، فهي على هذا ممدوحة ، ولذلك أقسم الله بها . وروي نحوه عن ابن عباس وعن مجاهد ، تلوم على ما فات وتندم على الشر لم فعلته ، وعلى الخير لم لم تستكثر منه . وقيل : النفس المتقية التي تلوم النفوس في يوم القيامة على تقصيرهن في التقوى . وقال ابن عباس وقتادة : هي الفاجرة الخشعة اللوامة لصاحبها على ما فات من سعي الدنيا وأعراضها ، فهي على هذا ذميمة ، ويحسن نفى القسم بها . والنفس اللوامة : اسم جنس بهذا الوصف . وقيل : هي نفس معينة ، وهي نفس آدم عليه السلام ، لم تزل لائمة له على فعله الذي أخرجه من الجنة . قال ابن عطية : وكل نفس متوسطة ليست بمطمئنة ولا أمارة بالسوء فإنها لوامة في الطرفين ، مرة تلوم على ترك الطاعة ، ومرة تلوم على فوت ما تشتهي ، فإذا اطمأنت خلصت وصفت . انتهى . والمناسبة بين القسمين من حيث أحوال النفس من سعادتها وشقاوتها وظهور ذلك في يوم القيامة ، وجواب القسم محذوف يدل عليه يوم القيامة المقسم به وما بعده من قوله : { أَلَيْسَ بِ } الآية ، وتقديره لتبعثن . وقال الزمخشري : فإن قلت : قوله تعالى : { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ } ، والأبيات التي أنشدتها المقسم عليه فيها منفي ، وكان قد أنشد قول امرء القيس : % (لا وأبيك ابنة العامري % .

لا يدعي القوم إني أفر .

%)

.

وقول غوية بن سلمى : % (ألا نادى أمانة باحتمالي % .

لتحزنني فلا بك ما أبالي .

%)

قال : فهلا زعمت أن لا التي للقسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له ، وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفياً ، نحو قولك : { لَا أُقْسِمُ بِرَيْحٍ وَمِ الْقِيَامَةِ } ، لا تتركون سدى ؟ قلت : لو قصرُوا الأمر على النفي دون الإثبات لكان لهذا القول مساغ ، ولكنه لم يقسم . ألا ترى كيف لقي { لَا أُقْسِمُ بِهَِذَا الْبَلَدِ } بقوله : { لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ } ، وكذلك { فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ } ، { إِنْ زَنَّهُ لَقَدْ رَأَىٰ كَرِيمٌ } ؟ ثم قال الزمخشري : وجواب القسم ما دل عليه قوله : { أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ * لَنْ * رَّجْمَ عَظَامَهُ } ، وهو لتبعثن . انتهى ، وهو تقدير النحاس . وقول من قال جواب القسم هو : { أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ } . وما روي عن الحسن أن الجواب : { بَلَىٰ قَادِرِينَ } ، وما قيل أن لا في القسمين لنفيهما ، أي لا أقسم على شيء ، وأن التقدير : أسألك أياحسب الإنسان ؟ أقوال لا تصلح أن يرد بها ، بل تطرح ولا يسود بها الورق ، ولولا أنهم سردوها في الكتب لم أنبه عليها . والإنسان هنا الكافر المكذب بالبعث . روي أن عدي بن ربيعة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (يا محمد ، حدّثني عن يوم القيامة متى يكون أمره ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، فقال : لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أؤمن به ، أو يجمع الله هذه العظام بعد بلاها ، فنزلت . وقيل : نزلت في أبي جهل ، كان يقول : أيزعم محمد صلى الله عليه وسلم (أن يجمع الله هذه العظام بعد بلاها وتفريقها فيعيدنها خلقاً